كان من الطبيعي أن تكلل مجهودات العمل السياسي والإصلاحي وكذا جهود الجماهير الشعبية الجزائرية والتي بذلوها في المقاومة، بعمل ينهي الأوضاع المزرية المترتبة عن الاستدمار الفرنسي وذلك وفق مسار صحيح يمكّنها من رد الاعتبار لها وطرد الاستدمار نهائيا من الأرض الجزائرية فتظافرت الجهود وانبثقت عنها ثورة أول نوفمبر 1954.

المبحث الأول : الثورة التحريرية الكبرى

أولا : الثورة الجزائرية في نظر مالك بن نبي

يرى مالك بن نبي أنّ الثورة الجزائرية من صنع الجماهير الشعبية الواسعة وليست من صنع طبقة معينة أو نخبة، يقول أنّ الشعب الجزائري هو الذي صنع الثورة وكان الفلاح هو الذي حمل لواءها، فقد كانت الثورة ثورة فلاحين[1] وأنّ هذه الثورة شحذت إرادة شعب يرمي الى التحرر مهما كلفه الثمن[2]، وأنّه هو الذي قطع حياة الجمود فتخلى عام 1954م عن جميع قادته الروحيين لكي ينطلق وحده في هذه الثورة .[3]

ويصف قوة الإرادة والتصميم التي طبعت المجاهدين في مقال نشر في مجلة الثورة الافريقية، بقوله : " لقد تسلق جيل الثورة أصعب المناكب قدما نحو التحرير وكان ذلك مسلكا ومنعرجا صعبا، فأيديهم المجرّحة والممسكة بقوة وتصميم في كل منعطف وأرجلهم المدماة قد انطبعت بوضوح على حرث مرتقاهم نحو العلا الى قمم الأوراس وجرجرة حتى أطلقوا نداء الثورة "[4].

كما اعتبر الثورة ثمرة جهود جمعية العلماء المسلمين التي بدأت في الثلاثينات ، وأنّها تجسيد للطاقات الأخلاقية والسياسية حيث استطاع الشعب أن يتجاوز المرحلة الصعبة من تاريخه وأن يدخل في خضم ثورته، التي تجسدت في الفاتح من نوفمبر 1954م[5].

---

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص120.

[2] مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ص63.

[3] مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، ص 140.

[4] مقال لمالك بن نبي بمناسبة ذكرى عيد الاستقلال 1967م للمزيد **ينظر** الى **الملحق رقم** :04.

[5] مالك بن نبي، **من أجل التغيير**، ص47.

بعث بن نبي في أول سبتمبر1956م رسالة إلى قادة الثورة الجزائرية نشرها فيما بعد في كتابه في مهب المعركة، بيّن فيها استعداده الكامل لخدمة الثورة على صورتين : ممرض للجرحى في ميادين القتال، أو ككاتب لتاريخ الثورة الجزائرية من الداخل لكن طلبه بقي دون جواب[1].

ثانيا : أخطاء الثورة حسب مالك بن نبي

يرى مالك بن نبي أنه بالرغم من عظمة ثورة الفاتح من نوفمبر إلاّ أنّها احتوت على أخطاء كثيرة، ومن الأخطاء التي عرفتها الثورة أنه مع بدايتها أصبح تاريخ الحركة الوطنية (1918-1954) م عرضة للتبسيط والبتر الانتقائي، فقد ذكرت جبهة التحرير الوطني ذلك حينما أعلنت استمرار المقاومة الجزائرية التي وقفت في وجه الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر.

أي مع نضال الأمير عبد القادر الجزائري و أحمد باي و المقراني وغيرهم فعوض أن تبحث عن التكامل بين الكفاح المسلح و أساليب النضال الأخرى تم تقديم الجانب العسكري على حساب الطرق التنظيمية الأخرى، الشيء الذي لم يسمح للشعب الجزائري من السيطرة على مصيره، و خلافا لما يزعمه مؤسسو جبهة التحرير لم يتحرروا من ماضيهم السياسي و لم يتمكنوا من تجاوز الصراعات التي أدت إلى انشقاق حزب الشعب الجزائري " حركة انتصار الحريات الديمقراطية" و لم ينسوا عبادة الشخصية التي تتطبّعت بها عقولهم على الطريقة الستالينية التي تجعل من الزعيم تجسيدا للتاريخ بحيث أصبحت الجبهة تعتقد أنها هي الإدارة التي بواسطتها يسير الشعب ثورته وشؤونه[2] .

كما يرى مالك بن نبي أن كل ثورة يجب أن تحصن نفسها من محاولات التخريب و التشويه، و على قادتها أن لا يكونوا أدوات في يد الاحتلال بفعل وسائل السلطة ويتحولوا إلى إدارات ثورية مستهترة، كما على الثورة أن تتخلص نهائيا من المناورات حول مسألة السلطة مما يوحي به الاحتلال، فالثورة التحريرية التي صاغها الفلاح الجزائري في

[1] رسالة بعثها مالك بن نبي ، الى قيادة جبهة التحرير المتواجدة بالقاهرة، **ينظر** الى الملحق رقم: 05.

[2] نعيمة بغدادي، **مرجع سابق**، ص 164.

كلمة "الاستقلال " فلا تصح نسبتها إلى مذهب عقائدي معين، فقد كان شعارها "الله أكبر " و روادها مجاهدون وعدوهم كافر[1] .

يقول مالك بن نبي : " أن الثورة التي تخشى أخطاءها ليست بثورة "[2]، لذلك على الثورة أن لا تخشى أخطاءها و لأنه لكي يتحرر كل زعيم من هؤلاء الزعماء من عقدة السلطة و التملك أن ينظر إلى الاستقلال من زاوية الواجبات التي توضع على كاهل كل زعيم[3] .

كما اعتبر مالك بن نبي الثورة الجزائرية نموذجا إسلاميا، وذلك لا يسقط عنها أنها نموذج عالمي لكل حركة تحررية، و حتى تسمية " جبهة التحرير" لم تخلو من هذا البعد [4] .

المبحث الثاني : سياسة فرنسا لقمع الثورة

أولا : الأسلوب القمعي وسياسة الإجرام

في عام1957م ألف بن نبي كتيبا تحت عنوان " الشعب الجزائري يباد" الجزائري وهي صرخة ودعوة للضمير العالمي طلب فيها بتحقيق دولي في المجازر ضد الشعب الجزائري و في وسائل التعذيب ضد المعتقلين[5].

فقد انتهج الاستعمار الفرنسي أساليب عدة لقمع الثورة ومحاولة عزل الشعب عنها وشن عليها حملات دعاية على أنّها ثورة عصابات وقطاع طرق، ونعت أصحابها بالفلاقة و العصاة ووعدت حكومة الاحتلال بأنّها سرعان ما تسيطر على الوضع ولكن مع توسع الثورة وشموليتها على اكبر نطاق فشل في هذه السياسة، فما كان منها إلاّ انتهاج سياسة قمعية عمادها الجريمة، فبعد الهزائم التي ألحقها جيش التحرير الوطني بالقوى الاستعمارية صبّ الاستعمار جام غضبه على الشعب الجزائري وترجمها في شكل مجازر مدنية للانتقام من هذه الهزائم.

---

[1] عبد العزيز راسمال، **مالك بن نبي وتصوره لثورة التحرير**، ضمن ندوى حول: قسنطينة فقه حضاري، جامعة قسنطينة ، جويلية 2006، ص ص 136- 135.

[2] مالك بن نبي، **بين الرشاد و التيه**، ص 33.

[3] نعيمة بغدادي، **المرجع السابق**، ص ص 165- 166.

[4] عبد العزيز راسمال، **المرجع السابق**، ص 136.

[5] مولود عويمر، **مرجع سابق**، ص ص 21-26 .

والبداية كانت بإبادة قريتين صغيرتين بالقرب من " فليب فيل " سكيكدة عقب 20 أوت 1956م وإعدام أم فتية أمام نظرات رضيعها، شرع بن نبي في ذكر سياسة القمع التي تخوضها فرنسا.

كان بن نبي يدرك أن خيار القمع لم يكن نتيجة خيار بعض الضباط الفدائيين الذين شاركوا في حرب الهند الصينية "الفيتنام"، الراغبين في الانتقام لهزيمتهم في "ديان بيان فو" بل أنّ هذا الخيار القمعي قرره وزير الداخلية الفرنسي "بيار منداس فرانس[1]"، بعد بضعة أيام من الثورة إذ طرح أمام النواب قائلا " **التفاوض الوحيد في الجزائر هو الحرب** "[2].

يذكر مالك بن نبي أنه لمّا كان القيصر" نيرون " يعذب شهداء المسيحية إناثا وذكورا فيطلق عليهم اسودا ضارية تمزقهم تحت أنظار الجماهير المتلهفة لمثل هذه المشاهد المفجعة، كان في الجزائر "غي موليه" والذي سار على خطى أستاذه " نيرون" فيرسل على شعب الجزائر جيشا قوامه نصف مليون جنديا يعذبونه ويقتلونه ويريقون دمائه، وينهبونه ويستبيحون حرماته ثم يشعلون في دياره النيران.

ويصف بن نبي " غي موليه [3]" بأنه فاق أستاذه " نيرون " هذا الأخير الذي كان يبعث أسوده لتمزق ضحيتها دفعة واحدة كان" غي موليه " الذي كان جيشه مكونا من مظليين وشرطة وجنود الفرقة النظامية، تتفنن في تعذيب الشعب الجزائري يقول مالك بن نبي: " أنّه أصبح لحم الشعب الجزائري في نظرهم مفتاح المشكلة " .

---

[1] **منداس فرانس** : رجل سياسة فرنسي (1907-1982) م انخرط في الحزب الاشتراكي الفرنسي ، شارك في الحرب العالمية الثانية مع القوات الفرنسية ، عين بتاريخ 1954م رئيسا لمجلس الوزراء، أنهى الحرب الفيتنامية باتفاقية جنيف (جويلية 1954م) دخل في مفاوضات مع حزب الدستور انتهى بتقديم استقالته مع حكومته في فيفري 1955م، للمزيد ينظر: لباز الطيب، **الحزب الدستوري الجديد ودوره في القضايا التحررية المغاربية**، مذكرة ماجستير ،إشراف: بوعزة بوضرساية، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر2، 2008، ص76.

[2] مالك بن نبي، **شهادات حول ثورة التحرير** ، ص ص 12-10.

[3] **غي موليه Gay Mollet** : رجل سياسة فرنسي(1905-1975) شارك في الحرب العالمية الثانية اسر فيها ثم حرر منه ، عين في سنة 1946 نائبا في الجبهة الشعبية الفرنسية ،وبعد نجاح الجبهة الشعبية في الانتخابات التشريعية الفرنسية 1956 أصبح رئيسا للحكومة ، عرف بمواقفه المتصلبة اتجاه القضية الجزائرية ، تم في عهده العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر 1956، ونظرا للمشاكل الاقتصادي التي كانت تعيشها فرنسا استقال من الحكومة في ماي 1957 للمزيد ينظر الى : الطيب لباز، **المرجع السابق**، ص88. وأيضا ينظر الى: عبد الوهاب الكيالي: **الموسوعة السياسية**،ج6، المرجع السابق، ص 178.

وهذا ما كان يفكر فيه "لاكوست" عند سقوط الحكومة التي اشترك فيها فقد أوصى في بيان للصحف انه يجب على خليفته أيّا كان أن يضع نصب عينيه فصل الشعب الجزائري عن ثورته، أي بمعنى تحطيم قوة المقاومة الشعبية بوسائل من التنكيل وبهذا فلاكوست لا يطلب لأداء هذا الواجب جنودا بل جزارين.

وبهذا أصبحت الجزائر ميدانا تعبث فيه الوحوش الضارية التي أطلقتها الحضارة الغربية، لقد أعطى مالك بن نبي مقارنة لأساليب البطش القديمة في القرون الوسطى، وبين ما تستعمله فرنسا من أساليب استعمارية وحشية في حق شعب أعزل، ففي القرون الوسطى كان الصلب والشنق والتعذيب بالعجلة على بساطته، أمّا في زمن الاحتلال الفرنسي للجزائر فرنسا، فوسائل التعذيب تستخدم فيها فرنسا الكهرباء إلى أن تصل بالألم إلى أقصى درجة يمكن أن يصل إليها الألم البشري أنّهم يكشفون كل يوم آلام جديدة أشد وجعا وجروحا لا تندمل.

يقول بن نبي:" إنّهم يأمرون المعذبين أن يهتفوا أثناء قيامهم بعملية التعذيب بالصراخ وإطلاق عبارات الشتم و أن لأولئك البرابرة وحشية لا تقف عند حد في عبثها وفي تكييف الألم فيبقون عاكفين على التعذيب، ويبقى اللحم البشري يصرخ بين أيديهم، وان هؤلاء المعذبون لطالما اعتبروا أعمال إبادة الشعب الجزائري واجبا وطنيا، وأضفوا عليه صفة الشرعية[1].

لقد أصبحت الإبادة والتعذيب في الجزائر واجبا وطنيا لدى كل فرنسي، فلم يقد هذه العمليات الجند والقادة العسكريين فقط بل تعداه إلى إقحام الحكام والقضاة وحتى القساوسة فشارك في هذه العمليات الرئيس " كوتي" [2] القاضي الأعلى لفرنسا.

فيرى مالك بن نبي أنّه لسنّ هذا الرجل وجلال منصبه كان عليه أن يبقى أمينا لتقاليد بلده وعلى قيمه الأخلاقية والثقافية، ولكنه ألقى بهذه الأمانة كلها في الميدان الذي يباد فيه الشعب الجزائري، فقد أراد "كوتي" ألاّ يفوته نصيبه من اللحم الجزائري فاستولى على

---

[1] مالك بن نبي ، **شهادات حول ثورة التحرير** ، ص ص 20-21.

[2] **كوتي رينيه** : رئيس جمهورية فرنسا 1944-1959 لعب دورا إبان تأزم الأوضاع الفرنسية عام 1958 بسبب الثورة الجزائرية ، فعندما أخذت الإدارة الفرنسية في التمرد العسكري في الجزائر بادر " كوتيه " الى دعوة الجنرال ديغول لتسلم زمام الحكم ، وشكل وزارة في أواخر ماي 1958. للمزيد ينظر الى : عبد الوهاب الكيالي، **الموسوعة السياسية** ،ج5، المرجع السابق، ص 194.

(300) جثة بائس ذبحوا في مذبحة قرية " ملوزة " الصغيرة ، ولقد زعم " كوتي" أنّه يمكن الافادة من بعض الاختلافات لإشاعة الفرقة في الرأي الجزائري، بعد العجز عن إشاعتها باغتيال الشيخ العربي التبسي تلك الشخصية المحبوبة والمحترمة في وطنها. [1]

ثانيا : الثورة المضادة

يتعامل الاستعمار مع مختلف الثورات التي تقوم ضد مصالحه وفق خطط استراتيجية تجعل من النتيجة المحققة مخالفة تماما لما كان يصبو إليه أصحابها، وذلك بالاعتماد على العديد من الطرق ومن بينها " الأخطاء المولدة "، أي أن الاستعمار يستطيع إدخال مجموعة من العوامل لتغيير مسار الثورة و توجيهها بعيدا عن هدفها الرئيسي، وهو ما حصل للثورة الفلسطينية و الثورة الجزائرية.

يقول بن نبي: " نحن نواجه في المجتمع الإسلامي في عهد ما بعد التحضر أخطاء مولدة أي أنها أتت إليه من عالم ثقافي آخر قام بدور المولد و لا يعتبر المهندسون في الثورة الفلسطينية أو عبّان رمضان في الثورة الجزائرية خطأين نابعين من اطراد الثورتين، و إنما خطآن أدخلا من الخارج أي خطآن مولدان[2] "

حيث يعتبر "بن نبي" أن "عبان رمضان" صنيعة فرنسية استعمارية فالأفكار التي جاء بها عبان رمضان في مؤتمر الصومام – حسب بن نبي– جاءت من الخارج.

كما أنه قد يبادر بسرعة مذهلة إلى إطلاق ثورة مضادة تكون مهمتها المحافظة على المصالح الاستعمارية على المدى البعيد، وقد يكون ذلك من خلال البحث في سجلاته عن لائحة باسم عملائه أو خريجي مدارسه فكريا و خلقيا و مسلكيا لأنه يملك عنهم المعلومات الكافية لكي يعزف لهم اللحن الذي يثيرهم فيبدؤون عملية التخريب من الداخل لتشويه الأفكار و المنجزات الثورية.

فما إن تظهر للاستعمار ثورة حتى يسرع في خلق ثورة مضادة وإطلاقها تكون وظيفتها الأساسية استثمار الوضع النفسي والسياسي للجماهير المهيّأة من طرف الثوار الحقيقيين وذلك إما لانحراف بالثورة عن مسارها الحقيقي، وإما للمحافظة على المصالح الاستعمارية على المدى البعيد من طرف الثوار المزيّفين، الذين بادروا بإطلاق ثورة مضادة مزيفة يمكن

---

[1] مالك بن نبي ، **شهادات حول ثورة التحرير** ص ص 24- 23.

[2] مالك بن نبي ، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، ص 122.

توظيفها مستقبلا للسيطرة على أجهزة الحكم و مختلف المؤسسات الإستراتيجية، و بدعم مباشر وغير مباشر من الاستعمار الذي قد تضطره الظروف المحيطة لسحب جيوشه مرغما، و لكنه لا يهنأ له بال إلا إذا كان تلامذته و عملاءه هم الذين يخلفونه على رأس المراكز الإستراتيجية التي تتحكم في تسيير شؤون الأمة.

عمد الاستعمار لإطلاق هذه الثورة المضادة التي يسعى من خلالها إلى تفكيك الثورة من الداخل، بحيث تكون هذه الثورة المضادة داخل الثورة الأصلية، تستخدم شعاراتها ووسائلها لتشويه صورتها أمام الرأي العام المحلي و العالمي، و تكون نفسها بديلا مهما لتتفاوض باسم الثوار الحقيقيين[1] .

ثالثا : القضية الجزائرية والهيئات الدولية

نشر مالك نبي رسالة " النجدة الشعب الجزائري يباد " عام 1957م يندد فيها عن الجرائم المرتكبة في حق الشعب الجزائري، والتي كانت السلطات الفرنسية تهدف من خلالها عزل الشعب عن ثورته التي أطلقت في الفاتح من نوفمبر 1954م، كان مالك بن نبي من خلال هذا النداء يهدف الى لفت العالم وهيئة الأمم المتحدة لما يحدث في الجزائر.

فيقول: " هذا النداء كان اختبارا للهيئة الدولية "، متمثلة في هيئة الأمم المتحدة طارحا السؤال هل سيسمع صوت الجزائر؟ وهل تبعث هيئة الأمم لجنة تحري ؟.

ليخلص بن نبي أن هيئة الأمم لن تقبل تعيين هذه اللجنة، ولا السيد " كوتي " يقبل تدخلها، ليخلص الى أنّ العالم المتمدن ـ أي الهيئات الدولية ـ على اطلاع بما يحدث في الجزائر، فإحصاء المعذبين يصلهم كل يوم، ولا شك أن وكالة الأنباء توافي المسؤولين بلا انقطاع بنتائج عمليات " لاكوست "، وأنّ سياسة الدول الكبرى هي صدى لتاريخها ومشاعرها وأنه لا يرجى منها حل القضية الجزائرية بالطرق الدبلوماسية.

ويرى بن نبي أن هيئة الأمم نبتت على أرض فتحها الرواد – أي الأوربيون زمن الكشوفات الجغرافية– ، وأنّ عمل الاستعمار بدأ مع عمل الرائد، ذلك الرجل الذي يبيد شعبا ليحتل بلاده، ليخلص بن نبي أنه من المستحيل أن تطرح مشكلة الشعب الجزائري طرحا سليما في المجال الدبلوماسي حيث تحتل مصالح الاستعمار المقام الأول[2] .

---

[1] مالك بن نبي ، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، ص ص 122-123.

[2] مالك بن نبي ، **شهادات حول ثورة التحرير** ، ص 29-28.

ويضيف مالك بن نبي أنّ (الو. م.أ) كانت لا تريد التكفل بالقضية الجزائرية، فيذكر بن نبي أن سكرتير وزارة الخارجية الأمريكية وهو يتحدّث عن الجزائر قال:" بأنّ (الو. م.أ) لا تنوي التدخل أو الزّج بنفسها بأية صورة في النزاع بين فرنسا و الجزائر"، يقول مالك بن نبي : " أن الدول الكبرى تنظر في المشكلة الجزائرية في طرفها الآخر فليس الموضوع أن تعرف ما إذا كان للام الجزائرية الحق في الاحترام الإنساني أو إذا كان للطفل الجزائري الحق في أن ينال استعطاف الضمير العالمي و رأفته، بل الأمر كله هو أن تضمن هذه الدول بأي وسيلة كانت لأقلية أوربية الحق في الحياة على حساب فناء شعب بأكمله "[1].

المبحث الثالث : مالك بن نبي والتطورات السياسية للثورة

أولا: مالك بن نبي يطالب بتحقيقات

يقول مالك بن نبي في رسالته " شهادة من أجل مليون من الشهداء "[2] : " كنا في انتظار المفاوضات التي ستضع كلمة الختام في تلك الصفحة الرائعة و الأليمة التي كتبها الشعب الجزائري في تاريخه بدمه الزكي و إذا بالصحافة توقظنا ذات صباح لتخبرنا أن المفاوضات قد انتهت بمدينة إيفيان، و كأننا مررنا بمنطقة ظلام أخفت مؤقتا عن الأنظار بعض الحقائق التي لم يكن الاستعمار يرغب في أن يعلمها الشعب الجزائري ".

حاول مالك بن نبي من خلال هذه الشهادة إيضاح جملة من الحقائق و طرح عدد من التساؤلات لإظهار أجزاء خفية لا يعلمها الشعب عن ثورة التحرير، تكلم فيها عن شعوره بالالتزام في إيصال الحقائق إلى الشعب الجزائري الذي يقول عنه أنه يجب عليه أن يعرف حقيقته.

وحتى لا يضيع بناؤه السياسي والاجتماعي بعد الاستقلال على أرض تغوص فيها أقدام الخيانة و المكر و اللامسؤولية، ويظل فيها مصير الشعب يتقاذف من سياسي إلى آخر من الحكيم " بن جلول " إلى " مصالي الحاج " إلى " فرحات عباس " ، ومنها إلى " بن خدة " و" بوصوف "، طبقا للطريقة التي يريدها الاستعمار، اقترح مالك بن نبي مؤتمرا

---

[1] مالك بن نبي ، **شهادات حول ثورة التحرير** ، ص ص 29- 30.

[2] نص الوثيقة ، نشر في مذكرة الرائد سي لخضر بورقعة ، كملحق و أيضا في كتاب مالك بن نبي ، شهادات حول ثورة التحرير ، ص45 ، للمزيد ينظر الى : **الملحق** رقم 06.

شعبيا عاجلا بالمقبرة التي تضم جثمان الشهيد " مصطفى بن بولعيد "و أن يشكل هذا المؤتمر لجانا تختص في التحقيق في نقاط يذكرها مالك بن نبي كالآتي :

أ/ القيّادة في ثورة التحرير:

المعروف أن الهيئة القيادية للثورة التحريرية هي قيادة جبل الأوراس، يذكر مالك بن نبي أنه تكونت بمدينة الجزائر في شهر أفريل 1955م قيادة منفصلة عن قيادة الثورة بجبل الأوراس و التي تدعى بالقيادة المستقلة لمنطقة العاصمة، هذا السلوك الذي اعتبره مالك بن نبي مخالفا تماما لمبدأ الوحدة القيادية الذي يجب التمسك بها في الحروب، وأنّها تحدث ازدواجية في القيادة تبدد الطاقات الثورية، حتى على افتراض أن كل قيادة تصدر نفس التوجيهات التي تصدرها القيادة الأخرى، بينما يرى "بن نبي" أنّ قيادة العاصمة تتخذ قرارات تخالف تماما خطة القيادة بـ " الأوراس "، مثل الدعوة إلى مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956م و تأسيس " مجلس التنسيق و التنفيذ " الذي عبّر تأسيسه عن قلب النظام الثوري رأسا على عقب، حيث كانت نتيجته الأولى تغليب الجانب السياسي على الجانب العسكري في قيادة الثورة و توجهها[1].

أو بعبارة أخرى وضع مصير" بن بولعيد " و إخوانه المجاهدين تحت سلطة السيد " فرحات عباس " و " فرانسيس " و "بن خدة " حتى خرجت الثورة من يد الأبطال الذين أسسوا جيش التحرير (ALN) و أصبحت بأيدي أولئك السياسيين الذين كونوا نقابة أطلقوا عليها اسم جبهة التحرير الوطني (FLN) لإغراء الشعب بالألفاظ .

ومن تتبع بإمعان تاريخ هذه الفترة لاحظ بدون أي شك تلك التغييرات العميقة التي حدثت في جهاز الثورة كله حتى ليستطيع المؤرخ الخبير أن يعبر عن الوضع الجديد بأنه كان في الحقيقة حركة ضد الثورة توجهها من بعيد أيد خفية في " باريس " و " العاصمة " حركة مقنعة تفاجئنا أحيانا بتفاصيلها الغريبة، و التي لم نذكرها عندما ينصب على وجه المثال رجل كـ " اليزيد "(و هو محمد يزيد ممثل جبهة التحرير الوطني في هيئة الأمم المتحدة ووزير الإعلام في الحكومة الجزائرية المؤقتة) و الذي يقول عنه مالك بن نبي أنه

[1] مالك بن نبي ، **شهادات**... ، ص47.

أذعر من جهلهو من عدم معرفته له، إنّ هذا الوضع الغريب هو الذي يزحف الآن إلى الانتخابات المقبلة لكي يصبح الوضع الشرعي في الجزائر المستقلة[1].

كما طالب بن نبي بفتح تحقيق في الظروف المحيطة بمقتل أولئك الرجال الذين قادوا الثورة في خطواتها الأولى، أمثال " مصطفى بن بولعيد " و " بن مهيدي " و " زيغود يوسف" و " عباس لغرور " والعقيد "محمد الباهي " .

يقول مالك بن نبي : " أن التحقيق سيكشف عن صلة مقتل هؤلاء الرجال بأولئك الذين نصبوا أنفسهم قيادة مستقلة بالعاصمة في شهر أفريل 1955و الذين كانوا يهدفون – حسب بن نبي – إلى الاستيلاء على مقاليد الثورة .

ب/ سياسة قادة مؤتمر الصومام :

انتقد مالك بن نبي تصرف القيادة المنبثقة عن مؤتمر الصومام من وجهتين الأولى : بأن القيادة الفرنسية استطاعت أن تنشئ خط موريس المكهرب بكل هدوء و دون أن تقوم القيادة الجزائرية الجديدة بأي مجهود يبطل هذا المشروع أو يعطله على الأقل، وعلى العكس نرى القيادة الجزائرية تعطل في هذه الفترة بالذات تمويل الجيش في الداخل بالسلاح و الذخيرة بل و تبطله في الوقت الذي يجب فيه تنشيطه نظرا لبناء خط موريس.

ومن جهة أخرى يرى مالك بن نبي أن النشاط الثوري كله بدأ يخمد منذ مؤتمر الصومام و أن الوحدات المقاتلة التي كانت تقف في وجه الاستعمار تسحب بالتدريج على الحدود شرقا و غربا كأنما هناك إرادة خفية تنشأ بذلك موقفا يتيح للقوات الاستعمارية أن تسترجع الأنفاس التي فقدتها خلال معارك 1954م– 1955م، حتى يمكن أن نقرّ للتاريخ أن آخر معركة تذكر هي التي خاضتها القوات الثورية بجبل " أرقو " في خريف 1956م و بعدها سيصبح جيش التحرير قوة الشعب الضاربة في معاركه الخالدة مجرد قوة استعراض يستخدمها الزعماء لدعايتهم في المهرجانات الصحافية على الحدود [2].

ج/ الضباط الجزائريون في الجيش الفرنسي و الثورة

طالب بن نبي التحقيق في الظروف المريبة التي انضمّ فيها بعض الضباط والجنود الجزائريين العاملين بالجيش الفرنسي إلى جيش التحرير و لماذا وقع انضمام بعضهم مثل "

---

[1] مالك بن نبي ، **شهادات حول ثورة التحرير** ، ص 48.

[2] **نفسه** ، ص 49.

الكومندان إدير" عن طريق قيادة العاصمة عوض قيادة جبل "الأوراس" بينما كان هذا الضابط يعمل في وحدة فرنسية تقيم في مدينة خنشلة، ومما يلاحظ أن هؤلاء الضباط قد استلموا مناصب مرموقة في جيش التحرير و هي المناصب التي جرد منها أصحابها الذين استحقوها مقابل خدمتهم في صفوف الثورة من اليوم الأول، ليضيف مالك بن نبي بأن أصحابها قد قتلوا في مؤامرات اغتيال شنيعة مثل " مصطفى الأكحل" الذي اغتاله جهاز السيد "بوصوف"، بالقرب من مدينة الكاف التونسية، وقد جرد بعضهم من منصبه وترك بلا زاد و لا راحلة في شوارع تونس أو الرباط .

د/ ملابسات في الحكومة المؤقتة الجزائرية

طالب بن نبي فتح تحقيق نشاطات الحكومة الجزائرية المؤقتة، وأنه على الشعب الجزائري معرفة هذه الحقائق، فطالب التحقيق في اغتيال المرحوم " عميرة علاوة " في مقر الحكومة الجزائرية المؤقتة بالقاهرة لأنه اكتشف في أثناء مهمة توجه فيها إلى بيروت اتصالات مريبة تخص السيد " فرحات عباس "، كما طالب بالتحقيق في معاملة الحكومة الجزائرية المؤقتة للاجئين جزائريين بتونس و مراكش و عن توزيع موارد النجدة التي ترسل لهم من الخارج ودعا أيضا الى التحقيق في تصرف الحكومة المؤقتة مع الطلبة الجزائريين في الخارج بوضعهم تحت تصرف جهاز نقابة جبهة التحرير (FLN) حتى أن الطالب الجزائري كالآلة يوجهها كريم بلقاسم[1] لمصالح معينة.

إذ فقد الطالب كل استعداد للقيام بواجبه وقيد نشاطه فعلا بصورة لم يكن يعرفها حتى أيام الاستعمار كما طالب بالتحقيق في تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة في أموال الثورة

[1] **كريم بلقاسم** : من زعماء الثورة التحريرية ، ولد في دوار "آيت يحيى" بالقبائل انضم الى حزب الشعب الجزائري عام 1945 ثم أصبح عضوا في المنظمة الخاصة خمل السلاح عام 1948 صدر عليه حكمين بالموت 1848،1850أيد مصالي الحاج ضد اللجنة المركزية في فبراير 1954، أصبح من أعضاء جبهة التحرير في الداخل ، وقائد منطقة القبائل وعضو في لجنة التنسيق والتنفيذ1945،عين وزيرا للقوات المسلحة في الحكومة الثورية ثم وزيرا للخارجية سنة 1960ثم الداخلية1961 ثم رئيس وفد جبهة التحرير في المفاوضات وبعد الاستقلال كان المعارض للرئيس بن بلة ثم اختفى عن الحياة السياسية الى حكم بومدين 1965 أين اتهم بمؤامرة للإطاحة بالحكم وصدر حكم الإعدام عليه غيابيا ، الى أن اغتيل في فرانكفورت في أواخر1970. للمزيد ينظر الى: عبد الوهاب الكيالي ،**الموسوعة السياسية** ،ج5، مرجع سابق ، ص221.

من وجهتين: من الوجهة الفنية بعقد المقارنة بين الميزانية التي خصصتها هذه الحكومة للجيش و الميزانية التي تخصصها للجهاز السياسي[1].

ثانيا : مالك بن نبي وعبّان رمضان

تحدث "مالك بن نبي" في كتابه مشكلة الأفكار عن "عبّان رمضان" واصفا إياه بالخيانة وقد اعتبره البعض تقديحا للمجاهد "عبّان رمضان"، يقول في هذا الصدد تلميذ "مالك بن نبي "عبد الرحمان بن عمارة" : أن بن نبي لم يقدح في "عبان" رمضان الإنسان لأنه لا يعرفه شخصيا بل انتقد الفكرة و الإيديولوجية، وسلط الضوء على المخاطر التي تعرضت لها الثورة خاصة بعد مؤتمر الصومام و اعتبر مالك بن نبي أن" عبّان "وقع في انحراف ليس القصد منه المساس بمبادئ الكفاح الثوري و خيانته و إنما المساس بالمبادئ الإسلامية التي غيبت في مؤتمر الصومام، حيث تم إهمال البعد القداسي في الثورة و استبداله بالبعد العلماني[2].

فعبّان رمضان و أمثاله لم يكونوا يعرفون جوهر الإسلام و روحه، وقد كان" عبان رمضان" بهذا يهدف إلى إنشاء جمهورية كالجمهورية الفرنسية يكون فيها الإسلام على الهامش، وهذا هو المقصود بالخيانة عند مالك بن نبي في كتابه مشكلة الأفكار[3].

المبحث الرابع: الجزائر في مرحلة الاستقلال

أولا: مالك بن نبي ينتقد المرحلة الانتقالية

يقول بن نبي أنه مع وقف إطلاق النار سارع الكثير من الأطياف للسيطرة على الوظائف، ويذكر بن نبي أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية كانت مثالا لهذا السباق نحو تقلد المناصب، وأن أعضاءها تخلّوا على ميثاق طرابلس المتكامل، الذي لم يستكمل تحرير برنامجه بعد، فيصف التحاقهم بتونس من أجل ترتيبهم لشؤونهم الشخصية، والتفرغ لاستتمام تشكيلاتهم قبل أن يضعوا أقدامهم على أرض الوطن في ثوب المحرّرين[4].

وبادر البعض الآخر الى اجتياز خط موريس فركضوا الى " بومرداس " لمباغتة ما يقدرون عليه من سلطة دولة لم يكن مولدها مجرد احتمال، أو هي في جميع الأحوال لم

---

[1] مالك بن نبي ، **شهادات حول ثورة التحرير** ، ص 51.

[2] محمد سلطاني ، **حوار مع عبد الرحمن عمارة** : مالك بن نبي لم يقدح في عبان رمضان إنّما انتقد الفكر والإيديولوجية ،جريدة البلاد ،العدد3730، 01 مارس 2012، ص13.

[3] **نفسه**، ص13.

[4] مالك بن نبي، **شهادات ...**، ص 51.

تخرج بعد من أقماطها، ليضيف مالك بن نبي أن هؤلاء انحدروا من الجبال والأدغال الى المدن لاغتصاب كل ما يقدرون عليه من مبان إدارية و محطات إذاعية، في المقابل وعلى نقيض من ذلك اتجه بعض" الضباع " ـ على حد تعبير مالك بن نبي ـ في بزة " الحركيين " أو زيّ المدنيين صوب شعاب الجبال لكي ينحدروا من هناك في صورة أبطال ، بعدما كانوا يعيشون على نهش لحم الشعب الجزائري و امتصاص دمه [1].

كما يذكر بن نبي أنّ الحكومة الجزائرية المؤقتة لم تكتفي بالتبصر بالأوضاع بعد وقف إطلاق النار فحسب بل استغلت هذا الوضع بسلوك أعضائها بسعيهم للاستيلاء على النفوذ، وأنه لم تكن تدور في مخيلتهم سوى فكرة واحدة هي احتلال الجزائر من جديد، دون أن يحاسبهم الشعب الجزائري على تسييرهم للبلاد، ففي القاهرة وتونس لم تكن تثار عندهم مشكلة الثورة في حدود مصطلح التحرير، ولكن في حدود سيطرة واحتلال جديد، في حين كان الشعب الجزائري هو الذي تحمل أعباء الكفاح مع قوات جيش التحرير الوطني، لم يسلم هذا الجيش من استغلال الحكومة المؤقتة له، فقد سعى كل طرف من هذه الحكومة أن يضمن ثلة من هذا الجيش لاستخدامها في اجتياحات إقطاعية ما [2].

يرى بن نبي أنّ هذه المرحلة سادها التفكيك الذي ظهر من الوهلة الأولى من وقف إطلاق النار، واعتبر ماقام به أعضاء الحكومة المؤقتة تفكيك وتخريب للوحدة المعنوية للبلاد، يقول مالك بن نبي : " فالذي حصل هو أن الجماعة الوطنية التي انصهرت والتحمت في نار الثورة، قد فتّتت من جديد في مضمار السباق على المنفعة الشخصية [3].

ثانيا: معالم الدولة الجزائرية في فكر مالك بن نبي

تعتبر الثورة الجزائرية من أعظم الثورات في القرن العشرين فبفضل هذه الثورة تمكنت الجزائر أن تصبح ذات سمعة عربية وإسلامية محترمة، وقبيل الاستقلال تقرر عقد مؤتمر طرابلس ابتداءا من 27 ماي 1962م الى 7 جوان 1962م، وهو الميثاق الذي رسم من خلاله البرنامج السياسي الذي سيتبع بعد الاستقلال والنهج الذي سيسلك لتسيير البلاد ومن نتائجه التي خرج بها الإقرار بضرورة تحويل جبهة التحرير الى حزب سياسي يقود

---

[1] مالك بن نبي ، **القضايا الكبرى** ، ص114.

[2] Malek Bennabi , **Conferences** , El Borhane, Hydra- Alger .S.E ,2015 , P56 .

[3] مالك بن نبي ، **شهادات حول ثورة التحرير** ، ص 59.

البلاد تحقيقا لأهداف الثورة الديمقراطية الشعبية، وتمت الموافقة على النهج الاشتراكي كبرنامج عمل[1].

وعلى الرغم من هذا الميثاق إلاّ أنّ الجزائر كانت تعيش مشاكل وتحديات هذه المرحلة الحاسمة " مرحلة مابعد الاستقلال" ، أبدى مالك بن نبي رؤاه وطرح توجيهات للخروج منها.

فبعد خروج فرنسا من الجزائر ورثت الدولة الجزائرية الفتية معضلات أثرت الى ابعد الحدود في مسارها وآدائها السياسي والاقتصادي، ويرى مالك بن نبي أن الاستقلال الذي حصلت عليه الجزائر هو استقلال سياسي بالدرجة الأولى، بينما تتجمع فيه من الناحية الاجتماعية مشكلات العهد الجديد والمشكلات الموروثة من عهد الاستعمار.

ويرى أنّه يجب على الدولة أن لا تركز على مجرد إعلان للسيادة الوطنية، اعلانا مسجلا في السطور الأولى من الدستور بل ينبغي أن تكون أداة ضرورية لتنمية السيادة أي الاستقلال بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والثقافي[2] .

اقترح "بن نبي" كجزء من الحل إنشاء علم اجتماع خاص بمرحلة الاستقلال[3] لأنه يعتبر أنّ فترة الاستقلال وما بعدها تعتبر طورا آخر من أطوار الثورة، فهي لا تنته بمجرد الحصول على الاستقلال السياسي، فالثورة التحريرية كانت تتطلب دماء شهداء ضحوا بأنفسهم من أجل الاستقلال، أما الثورة بعد الاستقلال فتتطلب عرق الأحياء في عمل مشترك لأبناء الشعب الجزائري الذي سيكفل لها مواصلة الكفاح ويخلصها من فكرة التحرر الى مرحلة البناء.

ويرى بن نبي أن الاستقلال الحقيقي ليس إخراج الجيوش من الأرض وتحديد يوم ذكرى أو عيد الاستقلال وليس صياغة دستور للبلاد فالاستقلال أعمق من ذلك، بحيث يستدعي القضاء على المخلفات السلبية للاستعمار وهجر لنوعية العلاقات الاجتماعية التي روج لها الاستعمار[4].

---

[1] بغدادي نعيمة، **مرجع سابق** ، ص 165.

[2] مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، ص39.

[3] Malek Bennabi,**Textes Sur La Lutte Idélogique(pour mieux comprendre la gurerre invsible**, préface ; Sadek Sellam, Alem El Afkar, S.E, 2010 ,p19 .

[4] مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، ص 40-41.

فالاستقلال هو نزع الاستعمار من النفوس والأفكار قبل نزعه من الأرض وذلك للحفاظ على الشخصية الوطنية السياسية والثقافية من التذويب، وعلى الشخصية الاقتصادية من النهب والقرصنة وهذا كله يتطلب على الأحياء استكمال دور الشهداء الذين بذلوا الأنفس في سبيله، والاستقلال في النهاية هو عملية بناء تدفع بالمجتمع الى واجهة العالم حضارة وهو تظافر جهود وطاقات أبناء الشعب لإنهاء العطالة و العراقيل التي تهدد كيانهم ووجودهم وحسب بن نبي فالشعب خلق بنفسه مفهوميته الخاصة طوال سنوات الثورة بإشماره فيها جميع قيمه الأخلاقية[1].

تلك القيم التي جعلت نضاله مقدسا في نظره الخاص و لكن مفعول هذا التقديس أخذ يتدهور شيئا فشيئا تحت تأثير طوفان من انتهاك الحرمات و تدنيس المقدسات، فالأشخاص الذين تسلموا زمام الأمور عقب حادثة السطو على الطائرة التي كانت تقل " الزعماء " من الرباط إلى تونس كانوا أبعد ما يكون عن تقدير الأهمية السياسية لهذا الانحطاط الذي ساد الجو الأخلاقي و خاصة بالنسب لحقبة ما بعد الثورة فمسيرو تلك المرحلة لم يفكروا في مشاكل الثورة لا يمكنهم من باب أولى أن يفكروا في المشاكل العامة التي كانت متوقعة في الجزائر عقب الثورة فهم أبعد ما يكونون عن الانشغال بوضع مفهومية ما بعد الثورة [2].

هذه الأوضاع حتمت على الشعب الجزائري أن يستأنف مسيرته مجددا نحو مرامي جديدة ومقاصد تمده بالبواعث المعللة لنشاطه، هذا النشاط الذي من شأنه تقويض النشاطات الفردية للزعامة فقد تقشعت عنه الهالة التي كانت تحجب المشاكل الملموسة عن عيون الشعب الجزائري أثناء الثورة .

حيث يرى بن نبي أنه تعيّن في مرحلة " الاستقلال" أن تحل جميع المشاكل العمومية و الخصوصية بطريقة آلية بينما وجب على الشعب الجزائري أن يفهم أن القطاع العمومي بالخصوص لا يزال يحيا على ما تركه المستعمر بعد رحيله وعندما يستنفذ رأس المال فما عسى الشعب الجزائري أن يصنع، وفمن المقتضيات الملحّة أن يعيد الشعب الجزائري التفكير في مشاكل البلاد على ضوء إدراكه للمشاكل القائمة في مرحلة ما بعد الثورة و مشاكل البنى

[1] مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه** ،ص ص 43.

[2] نفسه، ص 44.

القاعدية والتي تنحصر عند مالك بن نبي بثلاثية (الإنسان و التراب والزمن)، و أنها مشاكل يجب أن تثار قبل غيرها لإيجاد حدود لها .

ثالثا: دور الاستعمار في مرحلة ما بعد الاستقلال

في نظر بن نبي يواصل الاستعمار بعد الاستقلال نشاطه، وحتى يختلس النصر العسكري الذي أرغمه عن سحب جيوشه يستأنف نشاطه المرتبط بالصراع الفكري، ومن المؤسف أنّ لا يعرف الشعب الجزائري شيئا عن الخاصية القوية للصراع الفكري في البلاد التي خرج منها الاستعمار بعد أن استعمرها، ويعتقد أن كل ما يهم الاستعمار هو السيطرة على مواردنا الطاقوية وغزونا اقتصاديا من خلال إغراق أسواقنا بمنتجاته وسلعه من أجل الوقوف ضد حركتنا النهضوية التعميرية، وأن ندرك أن هدف الاستعمار ليس ما سبق ذكره بل هي مناورات للانقضاض على أفكارنا وإفقادنا سمات البناء الاجتماعي، يقول مالك بن نبي : " طردنا الاستعمار من الباب ليعود من النافذة "[1].

ويظهر دور الاستعمار في مرحلة الاستقلال في توجيه الممارسة السياسية واحتوائها حسب مالك بن نبي، نظرا لما للجانب السياسي من دور مهم في نهضة الشعوب والأمم فإن الإستعمار لم يغفل عن ذلك بل ركز جهودا مهمة ورصد إمكانيات كبيرة للسيطرة على الحياة السياسية للشعوب المستضعفة، مستعملا في ذلك مختلف النظريات العلمية التي أنتجتها مخابره المختصة في هذا المجال.

فعمل ما في وسعه لاستبدال السياسة التي تقوم على الأفكار المجردة (التي تتجرد من الذاتية والزعامة وتراعي مصالح العامة) بالسياسة التي تقوم على الأفكار المجسدة في ذات شخص الزعيم أو الزعامة أو الحزب وذلك لما تشكله السياسة التي تقوم على الأفكار المجردة من خطورة عل مصالحه وتجعله عاجزا عن السيطرة والإمساك بزمام الأمور وتوجيهها وفقا لما يرغب[2].

---

[1] محمد عاطف ، **معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي** ، دار قرطبة ، المحمدية – الجزائر ، ط1، 2009، ص 79.

[2] نفسه، ص 80.

فسعى الاستعمار الى دعم السياسة التي تقوم على الأفكار المجسدة أي أن صلاحيات توجيه الحياة السياسية قد تتجمع لدى شخص وحيد لما يتصف به من مؤهلات ذاتية أو مهيّأة مسبقا ليكون كذلك، والاستعمار يملك قدرة كبيرة على إخراج مسرحيات سياسية يصنع من خلالها الزعماء والأبطال وفي كلتا الحالتين يكون الأمر مفيدا للاستعمار لأنه يمكنه من التأثير على قرارات شخص الزعيم وتوجيهه وفق ما يريده الاستعمار وذلك وفق إرادته وإما عن جهل منه وإما مرغما فكلها احتمالات تؤدي نتائجها إلى نفس الهدف وهو تعطيل مسار الأمة وإبعادها عن الاتجاه الصحيح الذي يجب أن تسير عليه[1].

[1] محمد عاطف، **المرجع السابق**، ص 80.

من خلال هذا الفصل رصدنا ماكتبه مالك بن نبي عن مرحلة هامة من نضال الشعب الجزائري وهي ثورة أول نوفمبر 1954م، فكان يركز ويردد لفظ ومصطلح" النهضة " وما يحمله المصطلح من دلالة على عظمة وقيمة هذا العمل الذي أشاد به، غير أنه انتقدها وأشار الى بعض الأخطاء والهفوات التي وقعت فيها وانتقد بعض القادة وسلوكاتهم هذا الانتقاد لا ينقص من قيمة الثورة فهي قيمة ثابتة راسخة في التاريخ .

كما تحدثنا في هذا الفصل عن السياسات الفرنسية التي كانت تهدف من خلالها فرنسا الى تطويق الثورة بعمليات وسياسات إجرامية، لكن الشعب الجزائري ظل مستميتا ثابت المبادئ قوي الإرادة متمسكا بتقرير مصيره، الى أن حقق نصره محققا استقلاله معيدا بذالك سيادته.

ومن الطبيعي أنّ هذه المرحلة كانت تستدعي تظافر الجهود بالتوجه نحو البناء الذي حطّم زمن الاستعمار، فأبدى فيها مالك بن نبي آراءه في المرحلة الانتقالية منبّها لدور الاستعمار في هذه المرحلة .